كون القرآن الكريم شفاء
دراسة نقدية في أقوال المفسرين

الأستاذ الدكتور
محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي
الأستاذ في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

الأستاذ الدكتور
رمضان خميس عبد التواب
الأستاذ المشارك في كلية
الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

ملخص الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى بيان رأي العلماء في كون القرآن شفاء، فذهبت إلى تبيان مدلول الشفاء، وحرصت على تحرير محل النزاع بين العلماء فتناولت مسالة المقصود من الشفاء وهل هو حسي أو نفسي، وهل المقصود كون القرآن كله شفاء أم بعضه شفاء، وهل الشفاء للمسلم وغير المسلم أم لجميع الخلق، وخلصت في النهاية إلى العلماء متفقون على كون القرآن الكريم شفاء، لكنهم مختلفون في مدلول هذه الحقيقة، فبعضهم يرى أنه شفاء لأمراض القلوب والأرواح فحسب، وبعضهم يرى أنه شفاء لأمراض الأبدان أيضا أن جميع سور القرآن الكريم وآياته في ذاتها شفاء لكل أمراض النفس التي يمكن أن تؤدي إلى بعض الأمراض العضوية، وبالتالي يترتب على شفائه لهذه شفاؤه لتلك، ويمكن مزاولة العلاج به لهذه الأمراض، كما أن بعض سوره وآياته شفاء لبعض الأمراض العضوية ويمكن مزاولة الرقية بها بخصوصها؛ لأن التبرك بقراءتها يدفع كثيرا من الأمراض.

وأن العلاج بالقرآن حقيقة لا ينبغي أن نقصرها على الرقية به فقط، لأنها أوسع من ذلك بكثير بدليل ما تضمنه القرآن من قواعد وتشريعات لعلاج الأبدان، ووقايته الفرد والمجتمع من الأمراض، وإذا كان الإسلام قد شرع لنا الأدوية الروحية، مثل الاستعاذة بالله والرقى والدعاء، ولكن بجوار الأسباب المادية التي تكملها وتقويها الأسباب الروحية.

الكلمات المفتاحية: القرآن- شفاء- بدني- روحي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فالقرآن الكريم كتاب معجز بما تعنيه الكلمة من معنى وهو كتاب هداية جمع بين دفتيه كل ما يعين الإنسان على الحضارة والشهود؛ قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. النحل: ٨٩.

وقد عقل سلف هذه الأمة هذه الحقيقة، فداووا به أدواء قلوبهم، وغسلوا به درن ذنوبهم، فهتكوا بنوره حجاب كل ظلمة، وكشفوا بتبيانه غطاء كل ضلالة وبدعة؛ لأنه الدليل الواضح والصراط المستقيم الذي جعله الله للناس إماما، ورضي به بينهم حاكما، فأماتوا عنده كل شهوة، وانبعثوا بتأمله إلى كل رغبة، وحنوا بتشويقه إلى جوار المولى الكريم، وصبروا لأحكامه في كل عسر ويسر، وتأدبوا بأدبه في كل أقوالهم، وتزينوا بأخلاقه في كل أمورهم، فصاروا به أعلاما يرجع الحائرون عن الحق إلى سبيلهم، ويتأدبون بمكارم أخلاقهم، ويتزينون بزينة هديهم، ويستضيئون بنور هدايتهم[١].

ولأن العافية هم كل إنسان، وقد قال صلى الله عليه وسلم لعمه:" أكثر الدعاء بالعافية"[٢] ولم يكن صلى الله عليه وسلم يدع حين يمسي وحين يصبح " اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي"[٣] قد يسأل سائل عن حقيقة كون القرآن شفاء، وهذا يستدعي - **درءً لتجاوزات يمكن أن يقع فيها بعضهم، ومغالطات يتعمدها بعض آخر**- بيان مدلول الشفاء، والفرق بينه وبين العلاج، وإلقاء الضوء على أدلة كون القرآن شفاء، ومحاولة الكشف عن هذه الحقيقة في نظر العلماء بذكر أقوالهم، واختيار الرأي الراجح، ثم بيان أضلاع مثلث العلاج بالقرآن، واتساع حقيقة هذا العلاج.

مشكلة الدراسة:

والسؤال الرئيس في هذه الدراسة هو: هل كل القرآن شفاء؟ وهل شفاؤه لكل الأمراض الحسية والنفسية؟ وما موقف المفسرين من هذه القضية بفرعيها؟

أهداف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة:

١- الوقوف على المقصود من الشفاء بالقرآن.
٢- تتبع آراء العلماء القائلين بأن القرآن شفاء حسي ونفسي.
٣- تبيان آراء العلماء الذاهبين إلى كون القرآن شفاء للقلوب والنفوس فحسب.
٤- ترجيح ما يراه الباحثان صوابا.

وقد مضينا في هذه الدراسة على المنهاج التحليلي والمقارن حسب طبيعة الدراسة ومتطلبات البحث.

وقد آثر الباحثان السير في هذه الدراسة على تسلسلها من غير تقسيمها إلى مباحث ومطالب نظرا لتشابك الآراء وجريا على وجهة نظر أن عرض الآراء وتحريرها في صورة متتابعة أنسب من تمزيقها وتوزيعها.

مدلول الشفاء:

الشفاء أصله البرء من المرض، ثم وُضع موضع العلاج والدواء الذي يبرئ من السَّقَم، وصار اسمًا للبُرْء[٤].

يقال: استشفى فلان: طلب الشفاء، وأشفيت فلانا: إذا وهبت له شفاء من الدواء، ويقال: شفاء العي السؤال، وشفاه أشفاه: طلب له الشفاء[٥].

والعِلاجُ مزاولة كُلِ شيْءٍ ومعالجته وعالَج الشيءَ مُعالجة وعلاجاً زاوله، وعالَج المريضَ مُعالجة وعِلاجاً: عاناه، والمُعالِجُ: المُداوي؛ سواء عالَجَ جَريحاً أَو عَليلاً أَو دابَّة والعِلاج: المِراسُ والدِّفاعُ واسمٌ لما يُعالَج به[٦].

بناء على ما سبق يمكن القول بأن العلاج هو: ما يزاوله الطبيب أو مَنْ يحل محله طلبا للشفاء، أما الشفاء فهو ذهاب الداء عن المريض؛ لذا صار اسمًا للبُرْء، أو كما قال الراغب الأصفهاني: مُوافاة شفاء السلامة[٧].

وقد دلت نصوص قرآنية كثيرة على أن القرآن الكريم شفاء أو فيه شفاء للناس أي ذهاب لأدوائهم، لكن ليس هناك نص قرآني واحد يقول إنه علاج بمعنى أن يزاوله بعضهم طلبا للشفاء؛ سواء أكانت هذه المزاولة للنفس أم للغير.

نعم وردت نصوص في السنة النبوية المطهرة، وروايات عن السلف تفيد أن بعض سور القرآن وآياته علاج، وتدل على مزاولتهم له طلبا للشفاء، مما يستدعي تحرير هذه المسألة درءاً للمفاهيم المغلوطة والممارسات السلبية التي ترتبط بها.

دلائل كون القرآن شفاء:

هناك ثلاث آيات قرآنية صرح الله عز وجل فيها بأن القرآن الكريم شفاء، وهي على النحو الآتي:

- قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ٥٧.
- قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ الإسراء ٨٢.

- قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ فصلت ٤٤.

وبالنظر في هذه الآيات نلاحظ جملة أمور من أهمها ما يأتي(٨):

١- آية سورة يونس خطاب لجميع الناس لبيان ما في القرآن الكريم من المنافع الصالحة لهم، وهي تصرح بأن المؤمنين هم أكثر الناس انتفاعا به، ويمكن أن يكون الخطاب للمشركين، ويكون ذكر الثناء على القرآن بأنه هدى ورحمة للمؤمنين إدماجا وتسجيلا على المشركين بأنهم حرموا أنفسهم الانتفاع بموعظة القرآن وشفائه لما في الصدور، فانتفع المؤمنون بذلك، وقد صرحت آية الإسراء وآية فصلت بهذا ونقيضه.

٢- تعليق فعل المجيء بضمير الناس في قوله ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ ﴾ باعتبار كونهم المقصودين بإنزال القرآن في الجملة، ثم وقع التفصيل بالنسبة لما اختلفت فيه أحوال تلقيهم وانتفاعهم، كما دل عليه قوله بعده ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ أي المؤمنون، وعبر عن الهدى بالفضل في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ النساء: ١٧٤-١٧٥ فعمم في مجيء البرهان وإنزال النور جميع الناس، وخصص في الرحمة والفضل والهداية المؤمنين، وهذا منتهى البلاغة وصحة التقسيم.

٣- آية سورة يونس عبرت عن القرآن بأربع صفات هي أصول كماله وخصائصه فهو موعظة، وشفاء لما في الصدور، وهدى، ورحمة للمؤمنين، والموعظة: الوعظ، وهو كلام فيه نصح وتحذير مما يضر، ووصفها ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ للتنبيه على أنها بالغة غاية كمال أمثالها. والشفاء حقيقته: زوال المرض والألم، ومجازه: زوال النقائص والضلالات وما فيه حرج على النفس، وهذا هو المراد هنا، والمراد بالصدور النفوس كما هو شائع في الاستعمال، والهدى أصله: الدالة على الطريق الموصل إلى المقصود. ومجازه: بيان وسائل الحصول على المنافع الحقة.

وقد أومأ وصف القرآن بالشفاء إلى تمثيل حال النفوس بالنسبة إلى القرآن، بحال المعتل السقيم الذي تغير نظام مزاجه عن حالة الاستقامة فأصبح مضطرب الأحوال خائر القوى فهو يترقب الطبيب الذي يدبر له بالشفاء، ولا بد للطبيب من موعظة للمريض يحذره بها من سبب علته ودوامها، ثم ينعت له الدواء الذي به شفاؤه، ثم يصف له النظام الذي ينبغي له سلوكه لتدوم له الصحة والسلامة ولا ينتكس له المرض، فإن هو انتصح بنصائح الطبيب أصبح معافى سليما وعاش حياة طيبة لا يعتوره ألم، ولا يشتكي وصبا...

ثم إن ذلك يتضمن تشبيه باعث القرآن بالطبيب العليم بالأدواء وأدويتها، ويقوم من ذلك تشبيه هيئة تلقي الناس للقرآن وانتفاعهم به ومعالجة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم بتكرير النصح والإرشاد بهيئة المرضى بين يدي الطبيب وهو يصف لهم ما فيه برؤهم، فمنهم القابل المنتفع ومنهم المتعاصي الممتنع.

فالأوصاف الثلاثة الأول ثابتة للقرآن في ذاته سواء في ذلك من قبلها وعمل بها، ومن أعرض عنها ونبذها، إلا أن وصفه بكونه هدى لما كان وصفا بالمصدر المقتضي للمبالغة بحيث كأنه نفس الهدى كان الأنسب أن يراد به حصول الهدى به بالفعل فيكون في قران الوصف الرابع.

والوصف الرابع وهو الرحمة خاص بمن عمل بمقتضى الأوصاف الثلاثة الأول فانتفع بها، فكان القرآن رحمة له في الدنيا والآخرة.

فالقرآن في ذاته صالح للشفاء، ولكن الشفاء بالدواء لا يحصل إلا لمن استعمله، وأما كونه هدى ورحمة فإن تمام وصفه بهما يكون بالنسبة لمن حصلت له حقيقتهما، وأما لمن لم تحصل له آثارهما فوصفه بهما بمعنى صلاحيته لذلك، وهو الوصف بالقوة في اصطلاح أهل المنطق.

وقد وقع التصريح في الآية الأخرى بأنه شفاء ورحمة للمؤمنين، وصرح في آية البقرة بأنه هدى للمتقين، فالأظهر أن قيد للمؤمنين راجع إلى هدى ورحمة معا على قاعدة القيد الوارد بعد مفردات، وأما رجوعه إلى شفاء فمحتمل، لأن وصف شفاء قد عقب بقيد لما في الصدور فانقطع عن الوصفين اللذين بعده، ولأن تعريف الصدور باللام يقتضي العموم، فليحمل الشفاء على معنى الدواء الذي هو صالح للشفاء للذي يتناوله، وهو إطلاق كثير، وصدر به اللسان والقاموس، وجعلوا منه قوله تعالى في شأن العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ سورة النحل:٦٩ [٩].

١- يمكن أن يقال إن في ترتيب أوصاف القرآن الكريم على النحو الوارد في آية سورة يونس إشارة إلى أن للنفس الإنسانية مراتب كمال من تمسك بالقرآن فاز بها، أحدها: تهذيب الظاهر عن فعل ما لا ينبغي، وإليه الإشارة بالموعظة بناء على أن فيها الزجر عن المعاصي، وثانيها: تهذيب الباطن عن العقائد الفاسدة والملكات الردية، وإليه الإشارة بشفاء لما في الصدور، وثالثها: تحلي النفس بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، ولا يحصل ذلك إلا بالهدى، ورابعها: تجلي أنوار الرحمة الإلهية وتختص بالنفوس الكاملة المستعدة بما حصل لها من الكمال الظاهر والباطن لذلك، وقيل: الموعظة إشارة إلى تطهر ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة، والشفاء إلى تطهر الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة، والهدى إلى ظهور الحق في قلوب الصديقين

وهو الحقيقة، والرحمة إلى بلوغ الكمال حتى يكمل غيره ويفيض عليه وهو النبوة والخلافة، فهذه درجات لا يمكن فيها تقديم ولا تأخير.

والذي يقتضيه الظاهر كون المذكورات أوصافا للقرآن باعتبار كونه سببا وآلة لها، وجعلت عينه مبالغة، وبينها تلازم في الجملة، والتنكير فيها للتفخيم، والهداية إن أخذت بمعنى الدلالة مطلقا فعامة أو بمعنى الدلالة الموصلة فخاصة.

٢- ذكر بعضهم الموعظة للمريدين والشفاء للمحبين والهدى للعارفين والرحمة للمستأنسين والكل مؤمنون إلا أن مراتب الإيمان متفاوتة.

٣- تقديم كون القرآن شفاء على كونه رحمة؛ لأنه قسمان: بعضهما يفيد الخلاص عن شبهات الضالين، وتمويهات المبطلين وهذا هو الشفاء، وبعضهما يفيد تعليم كيفية اكتساب الأخلاق الفاضلة التي بها يصل الإنسان إلى جوار رب العالمين والاختلاط بزمرة الملائكة المقربين، وهذا هو الرحمة؛ ولما كان إزالة المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة لا جرم بدأ الله تعالى في هذه الآية بذكر الشفاء ثم أتبعه بذكر الرحمة.

حقيقة كون القرآن شفاء:

العلماء متفقون على كون القرآن الكريم شفاء، لكنهم مختلفون في مدلول هذه الحقيقة، من حيث الكلية والجزئية ومن حيث مجالات الشفاء فبعضهم يرى أنه كله شفاء وبعضهم يرى أن بعضه شفاء ومنهم من يرى أنه شفاء لأمراض القلوب والأرواح فحسب، ومنهم من يرى أنه شفاء لأمراض الأبدان أيضا، وبيان هذين القولين بأدلتهما على النحو الآتي:

أولا: علاجه لأمراض القلوب:

ذهب بعض العلماء إلى أن القرآن شفاء لأمراض القلوب فقط، وهذا لمن آمن به وصدقه واتبعه، وأما الكافر فلا يزيده إلا بعدا وكفرا، والآفة من الكافر لا من القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة: ١٢٤- ١٢٥..

وممن قال بذلك من أئمة التفسير الإمام الواحدي، والبغوي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود[١٠]. والحسن البصري ينكر صراحة كون القرآن الكريم شفاء لأمراض البدن، فقد أخرج أبو الشيخ عنه أنه قال: " إن الله تعالى جعل القرآن شفاء لما في الصدور، ولم يجعله شفاء لأمراضكم "([١١]).

وأمراض القلوب نوعان: أمراض شبهات تجعل الإنسان في حيرة وقلق وضياع، وأمراض شهوات، فأمراض الشبهات مذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً

﴿ البقرة: ١٠ وأمراض الشهوات مذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب: ٣٢..

ويجمع النوعين قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ التوبة: ٦٩..

والمعنى أن حال المنافقين كحال من سبقوهم إلى النفاق والكفر، فقد استمتعوا جميعا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف، وخاضوا بالباطل والزور ليدحضوا به الحق- والخوض خص في استعمال القرآن بالاندفاع في الأباطيل- فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ممن فعلوا كفعلهم[١٢].

وهذان النوعان من أمراض القلوب أصل فساد العبد وشقائه في معاشه ومعاده، وشفاؤه في معرفته لربه، واستقامته على طاعته، والبعد عما نهى عنه، وحذر منه.

يقول ابن القيم مبينا أن علاج الأرواح إنما هو للوحي السماوي المنزل على الرسل والأنبياء دون غيرهم: "فأما طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها، وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه، متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها، وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه، فإنه من الأموات، وعلى نوره؛ فإنه منغمس في بحار الظلمات"[١٣].

وبهذا يكون كتاب الله عز وجل هو طب القلوب وشفاءها عند ابن القيم؛ لأنه بمثابة الروح لأرواحنا، والنور لبصائرنا، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ الشورى: ٥٢..

والسبب في تسمية القرآن بالروح أن حياة الأرواح والعقول تحصل به؛ فمنه تحصل معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته ومعرفة كتبه ورسله، والأرواح إنما تحيا بهذه المعارف[١٤].

قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: ١٢٢.

ويؤيد ما ذهب إليه هذا الفريق من أن القرآن الكريم شفاء لأمراض القلوب فقط ما يأتي:

أولا: نصت آية سورة يونس على أن القرآن شفاء لما في الصدور، والذي تحويه الصدور هو القلوب، وهي التي ينسب القرآن الكريم إليها الإيمان والفقه والتدبر، ويقع فيها الكفر

والشك والنفاق، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج: ٤٦.

وهذه الآية تقتضي أن العقل في القلب، وذلك هو الحق، ولا ينكر أن للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ(١٥).

وفي ذلك إشارة إلى سوء حال المحجوبين المنكرين؛ فإن قلوبهم عمي عن رؤية أنوار أهل الله تعالى، فإن لهم أنوارا لا ترى إلا بعين القلب، وبهذه العين تدرك حقائق الملك ودقائق الملكوت(١٦).

قال مجاهد: " لكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته؛ فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه؛ لم يضره عماه شيئا، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه؛ لم ينفعه نظره شيئا "(١٧).

إذاً هناك رؤية عينية ورؤيا قلبية، فقد يمر الإنسان ببصره على كثير من الآيات والدلائل ولا يتأثر بها؛ لأن قلبه أعمى، وقد تتكشف له الحقائق عندما يراها بقلبه، فيفهم دقائقها، وما وراءها من حكمة.

إنها الرؤية الإيمانية التي تضيء القلب بنور الإيمان فيرى الوجود بعين البصيرة مع عين البصر، ويدرك الحقيقة إدراكا من الداخل لا من الخارج أو الظاهر فقط.

ثانيا: سياق آية سورة الإسراء يدل على أن المقصود بالشفاء شفاء القلوب؛ لأن الآيات التي سبقتها تتحدث عن تثبيت الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في مواجهة خصومه، ولا ريب أن هذا التثبيت يتعلق بالقلب، كما أن الآية اللاحقة تحدثت عن أمور قلبية وهي الإعراض واليأس، مما يدل على أن الشفاء المقصود إنما هو شفاء القلوب.

ثالثا: آية سورة فصلت تبين أن القرآن هدي وشفاء للذين آمنوا، ولا شك أن الإيمان محله القلب، ولهذا يكون نفس القرآن عمى بالنسبة للذين لا يؤمنون.

رابعا: اعتبار القرآن للتخصص واعتداده به فقد أشار إلى أن بعض الأغذية فيها شفاء ودواء، قال تعالى في عسل النحل: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٦٩.

كما شرع لنا أن نذهب في كل أمر إلى خبرائه لنستفتيهم فيه، سواء أكان في أمور الدين أم أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ فاطر: ١٤. وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤٣.

ففي أمور الهندسة نرجع إلى خبراء المهندسين، وفي الطب والدواء نرجع إلى كل طبيب في اختصاصه، وفي أمور الدين نرجع إلى علماء الدين الثقات، ولو كان القرآن الكريم يشفي من الأمراض البدنية ما كانت هناك حاجة إلى كل ذلك؛ لأن فيه حرجا ومشقة على خلق الله الذي يقول في القرآن نفسه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ النساء: ٢٨. ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨..

خامسا: أن الله عز وجل قد بين ما يفعله القرآن الكريم في قلوب المؤمنين وقلوب الكافرين فقال: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة: ١٢٤ -١٢٥.. ولو كان شفاء للأبدان كما هو شفاء للقلوب لشفى المؤمنين والكفار دون تفرقة.

سادسا: أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على العلاج العضوي في قوله: "الشفاء في ثلاثة؛ في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار؛ وأنا أنهى أمتي عن الكي"[١٨].

فذكر الأنواع الثلاثة للدواء: الذي يتناول عن طريق الفم، والجراحة، وهي شرطة المحجم أو المشرط، والكي، وذلك هو العلاج الطبيعي.

فهو إشارة إلى جميع ضروب المعافاة؛ لأن الأمراض دموية أو صفراوية أو سوداوية أو بلغمية؛ فإن كانت دموية؛ فشفاؤها إخراج الدم، وإن كانت من الثلاثة الباقية؛ فشفاؤها بالمسهل اللائق لكل منها، فكأنه نبه بالعسل على المسهلات، وبالحجامة على إخراج الدم بها، وذكر الكي؛ لأنه يستعمل عند عدم نفع الأدوية المشروبة ونحوها، فآخر الطب الكي، ونهيه عن الكي إشارة إلى تأخير العلاج به حتى يضطر إليه، لما فيه من استعمال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون أضعف من ألم الكي نفسه[١٩].

وقد تداوى صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بالتداوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»"[٢٠].

وقال صلى الله عليه وسلم:" إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام"[٢١] وقال: " لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل"[٢٢].

قال النووي: " وفى هذه الأحاديث جمل من علوم الدين والدنيا، وصحة علم الطب وجواز التطبب في الجملة، واستحبابه بالأمور المذكورة، وفيها رد على من أنكر التداوي، وقال كل شيء بقضاء وقدر"[٢٣].

ولهذا شاع الطب بين المسلمين، وتقدم تقدمًا هائلاً في الحضارة الإسلامية، وكان المسلمون أئمة العالم وأساتذته فيه، وعُرف منهم أسماء لامعة على مستوى العالم، مثل أبي بكر الرازي صاحب كتاب الحاوي، وابن سينا صاحب القانون، وابن رشد صاحب الكليات، والزهراوي صاحب التصريف لمن عجز عن التأليف.

والفخر الرازي صاحب الكتب الشهيرة في التفسير والأصول وعلم الكلام وغيرها وكانت شهرته في علم الطب لا تقل عن شهرته في علوم الدين، وابن النفيس مكتشف الدورة

الدموية الصغرى، يُعدُّ من فقهاء الشافعية، وترجم له تاج الدين السبكي في كتاب طبقات الشافعية على أنه أحد فقهاء هذا المذهب.

سابعا: لم ينقل أن أحد الصحابة قال إنه متخصص في العلاج بالقرآن، حتى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا، وإنما شرع الطب والتداوي بما يعهده الناس.

إذن فالقرآن شفاء لما في الصدور من الشك والحيرة والعمى، وما فيها من الهم والحزن والخوف والقلق؛ وهذه أمور معنوية تتعلق بالقلب والصدر، لا بالجسد والأعضاء.

يقول سيد قطب: " وفي القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرقت وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح وطمأنينة وأمان، في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، ويرضى فيستروح الرضا من الله والرضا عن الحياة، والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء ومن ثم هو رحمة للمؤمنين"[٢٤].

ثانيا: علاجه لأمراض القلوب والأبدان:

جمهور العلماء قالوا: إن القرآن شفاء لأمراض القلوب والأبدان، ومن هؤلاء العلماء النووي، وابن القيم، والبيضاوي، والفخر الرازي، والقرطبي، والشوكاني، والألوسي، وعبد الرحمن السعدي[٢٥].

قال الشوكاني: " واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على القولين، الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه القول. الثاني: أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك، ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز، أو من باب حمل المشترك على معنييه "[٢٦].

واختلفوا في ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ الإسراء: ٨٢.

فقال الفخر الرازي: " ليست للتبعيض بل هي للجنس، والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان: الاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة، أما الاعتقادات الباطلة فأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر، والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب، وإبطال المذاهب الباطلة فيها، ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب الباطنة، لا جرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني، وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها، وتعريف ما فيها من المفاسد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة

والأعمال المحمودة، فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض، فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحانية، **وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض** "[٢٧].

قال الإمام ابن القيم: " القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه؛ لم يقاومه الداء أبدا، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها!!؟ فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه فهما في كتابه"[٢٨].

أخرج البيهقي عن طلحة بن مصرف أنه قال: كان يقال: إن المريض إذا قرئ عنده القرآن وجد له خفة، فدخلت على خيثمة وهو مريض، فقلت: إني أراك اليوم صالحا، قال إنه قرئ عندي القرآن[٢٩].

وقيل: إن ﴿ من ﴾ للتبعيض، والمعنى أن منه ما يشفى من المرض، كالفاتحة وآيات الشفاء[٣٠]. وصحح الإمام القرطبي هذا القول، بحسب أن إنزاله إنما هو مبعض، فكأنه قال: وننزل من القرآن شيئا شفاء، ما فيه كله شفاء[٣١].

واحتجوا لذلك بما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الرقى إلا بالمعوذات.

ورد من يقولون إن من ليست للتبعيض بأنه لا يجوز الاحتجاج بمثل هذا الخبر في الدين، إذ في نقلته من لا يعرف، ولو كان صحيحا لكان إما غلطا وإما منسوخا لقوله عليه السلام في الفاتحة: " ما أدراك أنها رقية؟ " وإذا جاز الرقى بالمعوذتين وهما سورتان من القرآن؛ كانت الرقية بسائر القرآن مثلهما في الجواز، إذ كله قرآن[٣٢].

واختير في توجيه التبعيض أنه باعتبار الشفاء الجسماني، وهو من خواص بعض القرآن دون بعضه، ومن البعض الأول الفاتحة، وفيها آثار مشهورة، وآيات الشفاء وهي ست: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ فصلت: ٤٤. ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ النحل ٥٧. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ النحل: ٦٩. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء: ٨٢. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ الشعراء: ٨٠.﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ فصلت ٤٤، قال السبكي: وقد جربت كثيرا، وعن القشيري أنه مرض له ولد أيس من حياته، فرأى الله تعالى في منامه، فشكى له ذلك، فقال له: اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه، أو اكتبها في إناء واسقه فيه ما محيت به، ففعل، فشفاه الله تعالى، والأطباء معترفون بأن من الأمور والرقي ما يشفى بخاصية روحانية[٣٣].

وقد اختلف العلماء في جواز نحو ما صنعه القشيري؛ فمنع ذلك الحسن والنخعي ومجاهد، وروى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة[٣٤] فقال: " هي من عمل الشيطان"[٣٥]، والنشرة التي قال فيها صلى الله عليه وسلم ما قال هي النشرة التي كانت تفعل في الجاهلية، وهي أنواع؛ منها ما يفعله أهل التعزيم في غالب الأعصار من قراءة أشياء غير معلومة المعنى، ولم تثبت في السنة أو كتابتها وتعليقها أو سقيها، وعند ابن المسيب يجوز تعليق العوذة من كتاب الله تعالى في قصبة ونحوها، وتوضع عند الجماع وعند الغائط، وكان ابن سيرين لا يرى بأسا بالشيء من القرآن يعلقه الانسان كبيرا أو صغيرا مطلقا، وهو الذي عليه الناس قديما وحديثا في سائر الأمصار[٣٦].

ويؤيد ما ذهب إليه هذا الفريق من أن القرآن شفاء لأمراض القلوب والأبدان ما يأتي:

أولا: أن القرآن الكريم يُطَهِّر القلوب ويباركها ويصلحها؛ وإذا صح القلب من مرضه ورفل بأثواب العافية؛ تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده[٣٧].

فمن المعلوم طبيا أن التوتر والقلق يضعفان مناعة الجسم، وأنه كلما كانت الحالة النفسية والعصبية للإنسان غير مستقرة؛ كلما كانت فرص تعرضه لهجمات الأمراض أكثر، والقرآن الكريم يعمل على إعادة توازن الجهاز النفسي والعصبي لقارئه وسامعه، وبالتالي يزيد من مناعة جسمه، ويؤمن دفاعاته الداخلية، ويقاوم بتلك القوى النورانية المتدفقة الميكروبات والجراثيم التي تهاجم جسمه بضراوة في موجات متتالية.

يقول ابن القيم: " وقد علم أن الأرواح متى قويت وقويت النفس والطبيعة؛ تعاونا على دفع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه، وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به وحبها له وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه، واستعانتها به، وتوكلها عليه، أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية، وأن توجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية!؟ ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس، وأغلظهم حجابا، وأكثفهم نفسا، وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإنسانية"[٣٨].

ثانيا: ثبوت معالجة الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأوجاع بنصوص من القرآن الكريم وإقراره أصحابه على المعالجة بها، والأحاديث التي تدل على مشروعية ذلك متعددة، ومنها ما يأتي:

- ما أخرجه أحمد وغيره عن أبي بن كعب قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله، إن لي أخا وبه وجع، قال: " وما وجعه؟ " قال: به لمم، قال: " فائتني به" فوضعه بين يديه، فعوذه النبي صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي

الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٦٣-١٦٤.وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ آل عمران: ١٨. وآية من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٥٤. وآخر سورة المؤمنون ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ المؤمنون: ١١٦. وآية من سورة الجن ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾ الجن: ٣. وعشر آيات من أول الصافات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، فقام الرجل كأنه لم يشتك قط[٣٩].

- ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حيا من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقروننا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا، فجعلوا لهم قطيعا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه، فضحك وقال: " وما أدراك أنها رقية[٤٠] خذوها واضربوا لي بسهم "[٤١].

ولا شك أن خبر ابن عباس ليس فيه التصريح عن النبي صلى الله عليه وسلم بالرقية بفاتحة الكتاب، وإنما فيه تقريره على ذلك، فنسبة ذلك إليه صريحا تكون نسبة معنوية[٤٢].

قال ابن القيم: " إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين، ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها، لتضمنها جميع معاني الكتاب، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ومجامعها، وإثبات المعاد، وذكر التوحيد، والافتقار إلى الرب في طلب الإعانة به والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء، وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق، وقسمتهم إلى منعم عليه، لمعرفته بالحق والعمل به، ومغضوب عليه، لعدوله عن الحق بعد معرفته، وضال لعدم معرفته له، مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس وإصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع، وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء "[٤٣].

وقال أيضا: " فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني والشفاء التام والدواء النافع والرقية التامة ومفتاح الغنى والفلاح وحافظه القوة ودافعه الهم والغم والخوف والحزن لمن عرف

مقدارها، وأعطاها حقها، وأحسن تنزيلها، على دائه، وعرف وجه الاستشفاء والتداوي بها "[٤٤].

ومن هنا استحب الإمام النووي أن يقرأ بها على اللديغ، والمريض، وسائر أصحاب الأسقام والعاهات[٤٥].

- ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث[٤٦] على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيد نفسه لبركتها[٤٧].

وقولها في المرض الذي مات فيه ليس قيدا في ذلك، وإنما أشارت عائشة إلى أن ذلك وقع في آخر حياته، وأن ذلك لم ينسخ، وفائدة النفث: التبرك بتلك الرطوبة أو الهواء الذي ماسه الذكر، كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر، وقد يكون على سبيل التفاؤل بزوال ذلك الألم عن المريض كانفصال ذلك عن الراقي، وليس بين قولها في هذه الرواية " كان ينفث على نفسه " وبين الرواية الأخرى " كان يأمرني أن أفعل ذلك " معارضة؛ لأنه محمول على أنه في ابتداء المرض كان يفعله بنفسه، وفي اشتداده كان يأمرها به، وتفعله هي من قبل نفسها[٤٨].

ومن هنا أجاز سعيد بن المسيب النشرة وهي أن يكتب شيئا من أسماء الله أو من القرآن ثم يغسله بالماء ثم يمسح به المريض أو يسقيه، فقد قيل له: الرجل يؤخذ عن امرأته أيحل عنه وينشر؟ قال: لا بأس به، وما ينفع لم ينه عنه، وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقرأ بالمعوذتين في إناء، ثم تأمر أن يصب على المريض[٤٩].

وقال مالك: لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله عز وجل على أعناق المرضى على وجه التبرك بها إذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين، وهذا معناه قبل أن ينزل به شيء من العين، وعلى هذا القول جماعة أهل العلم، لا يجوز عندهم أن يعلق على الصحيح من البهائم أو بني آدم شيء من العلائق خوف نزول العين، وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله عز وجل وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله تعالى فهو كالرقى المباح الذي وردت السنة بإباحته من العين وغيرها[٥٠].

وقد كره بعض أهل العلم تعليق التميمة على كل حال قبل نزول البلاء وبعده، والقول الأول أصح في الأثر والنظر إن شاء الله تعالى، وقوله صلى الله عليه وسلم: " من علق شيئا وكل إليه"[٥١] فمن علق القرآن ينبغي أن يتولاه الله ولا يكله إلى غيره؛ لأنه تعالى هو المرغوب إليه، والمتوكل عليه في الاستشفاء بالقرآن، وسئل ابن المسيب عن التعويذ أيعلق؟ فقال: إذا كان في قصبة أو رقعة يحرز فلا بأس به، وهذا على أن المكتوب قرآن، وعن الضحاك أنه لم يكن يرى بأسا أن يعلق الرجل الشيء من كتاب الله إذا وضعه عند الجماع وعند

الغائط، ورخص أبو جعفر محمد بن علي في التعويذ يعلق على الصبيان، وكان ابن سيرين لا يرى بأسا بالشيء من القرآن يعلقه الإنسان[٥٢].

ثالثا: ثبت بما لا يقبل الشك أن الرقى ذات تأثير على أمراض الأبدان، وهذا أمر مشاهد في كل عصر ومصر، ولا ينكره إلا مكابر أو جاهل.

يقول ابن حزم: " وجربنا من كان يرقي الدمل الحاد القوي الظهور في أول ظهوره فييبس، يبدأ من يومه ذلك بالذبول، ويتم يبسه في اليوم الثالث، ويقلع كما تقلع قشرة القرحة إذا تم يبسها، جربنا من ذلك ما لا نحصيه، وكانت هذه المرأة ترقي أحد دملين قد دفعا على إنسان واحد، ولا ترقي الثاني، فيبس الذي رقت، ويتم ظهور الذي لم ترق، ويلقى حامله منه الأذى الشديد، وشاهدنا من كان يرقي الورم المعروف بالخنازير فيندمل ما يفتح منها، ويذبل ما لم ينفتح، ويبرأ "[٥٣].

قال القرطبي: " الرقى ثلاثة أقسام: أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه، فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك. الثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه، فيجوز، فإن كان مأثورا فيستحب. الثالث: ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات كالعرش، فيكون تركه أولى "[٥٤].

وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي، والقوافل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله[٥٥].

وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية لغير واحد من المرضى على جبهته ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هود: ٤٤. فبرئ. قال ابن القيم: " وسمعته يقول: كتبها لغير واحد فبرأ، فقال: لا يجوز كتابتها بدم الراعف كما يفعله الجهال، فإن الدم نجس؛ فلا يجوز أن يكتب به كلام الله تعالى "[٥٦].

وقد حكى عن الشافعي أنه شكا إليه رجل رمدا فكتب إليه في رقعة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق: ٢٢. ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ فصلت: ٤٤. فعلق الرجل ذلك عليه فبرأ [٥٧].

وكان بعض الصالحين في أصبهان أصابه عسر البول، فكتب في صحيفة البسملة ﴿وَبُسَّتْ الْجِبَالُ بَسّاً. فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾ الواقعة: ٥- ٦. ﴿وَحُمِلَتْ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة: ١٤.وألقى عليه الماء، وشربهن فيسر عليه البول، وألقى الحصى[٥٨].

وقال المروزي: بلغ أبا عبد الله أحمد بن حنبل أني حممت، فكتب لي من الحمى رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله، وبالله، محمد رسول الله ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمْ الأَخْسَرِينَ﴾ الأنبياء: ٦٩- ٧٠. اللهم رب جبريل

وميكائيل وإسرافيل، اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك، إله الحق آمين[٥٩].

الرأي الذي أختاره:

الرأي الذي أختاره أن جميع سور القرآن الكريم وآياته في ذاتها شفاء للأمراض غير العضوية التي يمكن أن تؤدي إلى بعض الأمراض العضوية، وبالتالي يترتب على شفائه لهذه شفائه لتلك، ويمكن مزاولة العلاج به لهذه الأمراض. كما أن بعض سوره وآياته شفاء للأمراض العضوية، ويمكن مزاولة الرقية بها بخصوصها؛ لأن التبرك بقراءتها يدفع كثيرا من هذه الأمراض كما قال الفخر الرازي[٦٠].

ولست مع الإمام القرطبي في قوله:" وإذا جاز الرقى بالمعوذتين وهما سورتان من القرآن كانت الرقية بسائر القرآن مثلهما في الجواز إذ كله قرآن "[٦١] لأن النصوص الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح تدل على الانتقاء.

وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء بهذا البعض، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبدا كما قال ابن القيم[٦٢].

والأطباء معترفون بأن من الأمور والرقي ما يشفى بخاصية روحانية كما قال الألوسي[٦٣] والروايات الواردة في حثه صلى الله عليه وسلم بعض من شكوا له وجعا بدنيا على قراءة القرآن[٦٤] ليس فيها أكثر من أمره الشاكي بقراءة القرآن الكريم إرشادا له إلى ما ينفعه ويزول به وجعه، ونحن لا ننكر أن لقراءة القرآن بركة قد يذهب الله تعالى بسببها الأمراض والأوجاع، وينبغي تأويل إرشاده صلى الله عليه وسلم الشاكي إلى قراءة القرآن، كأن يقال لعله صلى الله عليه وسلم اطلع على أن في صدر الرجل مرضا معنويا قلبيا قد صار سببا للمرض الحسي البدني، فأمره بقراءة القرآن؛ ليزول عنه الأول، فيزول الثاني، ولا يستبعد كون بعض الأمراض القلبية قد يكون سببا لبعض الأمراض القالبية، فإنا نرى أن نحو الحسد والحقد قد يكون سببا لذلك، ومن كلامهم: لله تعالى در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله[٦٥].

ويؤكد ذلك قول الفخر الرازي -وهو من القائلين- بأن القرآن الكريم علاج للأمراض العضوية وغير العضوية: " وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض، ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقي المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد، فلأن تكون قراءة هذا القرآن العظيم، المشتمل على ذكر الله وكبريائه، وتعظيم الملائكة المقربين، وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا كان أولى،

ويتأكد ما ذكرنا بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من لم يستشف بالقرآن؛ فلا شفاه الله تعالى"[٦٦][٦٧].

لقد اكتشف العلماء أن للمخ أربع موجات، ولكل موجة سرعة في الثانية، ففي حالة اليقظة يتحرك المخ بسرعة ١٣ – ٢٥ موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء النفسي والتفكير العميق يتحرك بسرعة ٨ – ١٢ موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء العميق ومرحلة النوم يتحرك بسرعة ٤ – ٧ موجة في الثانية، وعند النوم العميق يتحرك بسرعة نصف إلى ٣ موجات في الثانية، وقد أجرى الدكتور نجيب عبد الله الرفاعي تجربة في أحد المؤتمرات على بعض المشاركين في هذا المؤتمر باستخدام جهاز كمبيوتر يقيس الموجات الدماغية بكل دقة، وقد لاحظ ولاحظ الحاضرون معه انخفاض الموجات الدماغية بشكل سريع إلى منطقة ٨ – ١٢ موجة في الثانية[٦٨].

ولما قرأ آية الكرسي على مشارك في أحد المؤتمرات قال له: لقد عملت هذه الكلمات على إذابة أشياء داخل نفسي، لقد عملت غسيل داخل النفس، لقد أحسست بذبذبات مريحة وعميقة تدخل جسمي[٦٩].

مثلث العلاج بالقرآن:

لفت الإمام ابن القيم النظر إلى مثلث العلاج بالقرآن في قوله: " فهنا أمور ثلاثة: موافقة الدواء للداء، وبذل الطبيب له، وقبول طبيعة العليل، فمتى تخلف واحد منها لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل الشفاء ولابد بإذن الله سبحانه وتعالى، ومن عرف هذا كما ينبغي؛ تبين له أسرار الرقى، وميز بين النافع منها وغيره، ورقى الداء بما يناسبه من الرقى، وتبين له أن الرقية براقيها وقبول المحل، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع "[٧٠].

فالشفاء بالقرآن الكريم مرتبط ارتباطا وثيقا بمن يستشفي؛ لأنه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة؛ فإنه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة[٧١] وما أقل المستشفين به، بل إنه لا يزيد الطبائع الرديئة إلا رداءة، والنفوس المريضة إلا مرضا[٧٢] قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ الإسراء: ٨٢.

فهذا النص الكريم يفيد أن شفاء القرآن ورحمته ليسا لكل أحد، وإنما للمؤمنين به، بل لا ينتفع بهما من المؤمنين إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه، وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره، هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب، وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله مكذبا لقوله، كما روى أن عارفا وقعت له واقعة، فقال له أحد أصدقائه: نستعين بفلان. فقال: أخشى أن تبطل صلاتي التي تقدمت هذا الأمر وقد صليتها. قال صديقه: وأين هذا من هذا؟ فقال: لأني قلت في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥. فإن استعنت بغيره كذبت، والكذب في الصلاة يبطلها[٧٣].

لكن غياب ضلع أو أكثر من مثلث العلاج بالقرآن لا ينفي تحقيق تأثير له بمقادير مختلفة، فقد قال الربيع سألت الشافعي عن الرقية، فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله. قلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم، إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله، وفي الموطأ أن أبا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة: ارقيها بكتاب الله[٧٤].

وهذا ما أكدته دراسة الدكتور أحمد القاضي حول **تأثير القرآن على وظائف أعضاء الجسم البشري وقياسه بواسطة أجهزة المراقبة الإلكترونية**[٧٥] والتي كان هدف المرحلة الأولى منها إثبات ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسد وقياس هذا الأثر إن وجد، وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية، وكذلك عند عدد من غير المسلمين، وبالنسبة للمتحدثين بغير العربية، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، فقد تليت عليهم مقاطع من القرآن باللغة العربية ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية.

وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدئ في ٩٧ % من التجارب، وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي، وتفاصيل هذه النتائج المبدئية عرضت على المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية في أمريكا الشمالية والذي عقد في مدينة سانت لويس بولاية ميزوري في أغسطس (آب) ١٩٨٤.

أما المرحلة الثانية فكان هدفها تحقيق الافتراض القائل بأن الكلمات القرآنية في حد ذاتها لها تأثير فسيولوجي بغض النظر عما إذا كانت مفهومة لدى السامع.

وأجريت مائتان وعشرة تجارب على متطوعين من غير المسلمين ومن غير الناطقين بالعربية، وتليت على المتطوعين قراءات قرآنية باللغة العربية الموجودة خلال خمس وثمانين تجربة، وتليت عليهم قراءات عربية غير قرآنية خلال خمس وثمانين تجربة أخرى، روعي فيها أن تكون باللغة العربية المجودة بحيث تكون مطابقة للقراءات القرآنية من حيث الصوت واللفظ والوقع على الأذن ولم يستمع المتطوعون لأية قراءة خلال أربعين تجربة أخرى، وخلال تجارب الصمت كان المتطوعون جالسين جلسة مريحة وأعينهم مغمضة، وهي نفس الحالة التي كانوا عليها أثناء المائة وسبعين تجربة الأخرى.

وقد ظهر بوضوح منذ التجارب الأولى أن الجلسات الصامتة التي لم يستمع فيها المتطوع لأية قراءات لم يكن لها أي تأثير مهدئ للتوتر، ولذلك اقتصرت التجارب في المرحلة المتأخرة من الدراسة على القراءات القرآنية وغير القرآنية للمقارنة، وروعي تغيير ترتيب القراءات القرآنية بالنسبة للقراءات الأخرى باستمرار فمرة تكون القراءة القرآنية سابقة للقراءة الأخرى، ثم تكون تالية لها في الجلسة التالية أو العكس.

والمعايير التي تم قياسها وتسجيلها خلال هذه التجارب تضمنت متوسط الجهد الكهربائي في العضلة إضافة إلى درجة التذبذب في التيار الكهربائي في أي وقت أثناء القياس، ومدى حساسية العضلة للإنارة والنسبة المئوية للجهد الكهربائي في نهاية كل تجربة بالنسبة إلى أولها.

وكانت النتائج إيجابية في ٦٥% من تجارب القراءات القرآنية. وهذا يعني أن الجهد الكهربائي للعضلات كان أكثر انخفاضا في هذه التجارب مما يدل على أثر مهدئ للتوتر، بينما ظهر هذا الأثر في ٣٣% فقط من تجارب القراءات غير القرآنية.

ومن المعروف أن التوتر يؤدي إلى نقص المناعة في الجسم، ومن المنطق افتراض أن الأثر القرآني المهدئ للتوتر يمكن أن يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة، بحيث تزيد قدرة الجسم على مقاومة الأمراض أو الشفاء منها، وهذا ينطبق على الأمراض المعدية والأورام السرطانية وغيرها[٧٦].

إن الصياغة القرآنية عبارة عن سلاسل صوتية متتابعة في قطرات نغمية، تتناسق وحداتها وفق منهج خاص مكونة صيغًا وألفاظًا تحتل مواقع معينة منتقاة داخل تشكيلات من الجمل والعبارات.

وهذه العناصر الصوتية تتآلف فيما بينها، وتتآزر علاقاتها الإيقاعية النغمية والإيحائية المعنوية المتبادلة، وتنصهر جميعها في بوتقة واحدة، وتتفاعل في نشاط خلاق تركيبي وتصويري معًا، يقوم عليها ويستمد منها خصائصه وسعته وعمقه، بحيث يكشف كل عنصر منها عن قيمة العنصر الآخر، ويفجر طاقاته ويدعم أهميته، ويفسر دوره في صرح البنية الفكرية وفي إقامة الموقف الفكري، مما يسفر في النهاية عن وجه بديع من التشكيل اللغوي الجمالي، يصطبغ فيه المعنى المعجمي بمزيج فريد من ألوان فنية تجعله قادرًا على تخطي وظيفته الوضعية، إلى خدمة مقامات نفسية واجتماعية عديدة، وإلى تجسيد الخبرات الحسية والمعنوية التي تجمع بين البعدين الزمانيين الماضي والمستقبلي، وذلك من خلال تقديم تطبيقات حية، تكشف عن بنية الموقف الفكري، القادر على الانسجام مع كل التغيرات الدلالية التي تطرأ على اللغة تبعًا لتغير حاجات أفرادها ومتطلبات أزمانهم التي يعيشون فيها، مما يمنح النص القدرة على الاستمرارية وعلى تغطية آماد زمنية عريضة ومتجددة، ويضمن ديمومة الجمع في وقت واحد بين التعبير عن واقع الآن، وتخليد حقيقة الأبد، وذلك في موازاة رمزية لبنية التشكيل الجمالي النابضة بدلالات الموقف الفكري. وهذا كله يزلزل تقاليد التشكيل اللغوي البشري ومنطق توصيله، ويدل على أن هذه الصياغة القرآنية ليست من قبل البشر، ولا يقدر على محاكتها أحد وأنها صياغة علوية صدرت عن قوة عليمة حكيمة مبدعة قاهرة، وهي بذلك تتحدى بعظمتها وروعتها الإنس والجن على أن يأتوا بمثلها، أو حتى بشيء منها، وذلك بخلاف الكتب السماوية السابقة التي امتدت إليها

أيدي العبث والفساد بالتغيير والتحريف، فمسخت نصوصها الأصلية وشوهتها، فاستفحل في لغتها الخطأ وفي أفكارها التناقض، ودب في كيانها الضعف والتصدع، واعتراها الشك والاتهام، في حين ظلت معجزة القرآن الكريم في صياغته المبدعة باقية خالدة تجمع بين التشكيل الجمالي من واقع لغوي موجود ومعروف ومستعمل، وبين التوصيل الحي المباشر الذي يرضي الفطرة ويقنع العقل، كما تجمع أيضًا بين إثارة الفكر في المحتوى ومنطقه، وبين إبهار الإبداع الفني والتخيلي(٧٧).

اتساع حقيقة العلاج بالقرآن:

العلاج بالقرآن حقيقة لا ينبغي أن نقصرها على الرقية به فقط، لأنها أوسع من ذلك بكثير بدليل ما تضمنه القرآن من قواعد وتشريعات لعلاج الأبدان، ووقايته الفرد والمجتمع من الأمراض.

أما دلالته على قواعد علاج البدن فنص عليها ابن القيم في قوله: " قواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظ الصحة، والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة، وذكر المولى تبارك وتعالى هذه الأصول الثلاثة في ثلاثة مواضع، فقال في آية الصوم: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: آية ١٨٤. فأباح الفطر للمريض لعذر المرض، وللمسافر طلباً لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم في السفر لاجتماع شدة الحركة، وما يوجبه من التحلل وعدم الغذاء الذي يخلف ما تحلل، فتخور القوة وتضعف، فأباح للمسافر الفطر حفظاً لصحته وقوته عما يضعفها.

وقال تعالى في آية الحج: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ البقرة: آية ١٩٦، فأباح للمريض، ومن به أذى من رأسه من قمل أو حكة أو غيرها أن يحلق رأسه في الإحرام استفراغاً لمادة الأبخرة الرديئة التي أوجبت له الأذى في رأسه باحتقانها تحت الشعر، فإذا حلق رأسه، ففتحت المسام، فخرجت تلك الأبخرة منها، فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذى انحباسه، والأشياء التي يؤذى انحباسها ومدافعتها عشرة: الدم إذا هاج، والمني إذا سبغ، والبول، والغائط، والريح، والقيء، والعطاس، والنوم، والجوع، والعطش، وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الأدواء بحبسة، وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها، وهو البخار المحتقن في الرأس على استفراغ ما هو أصعب منه كما هي طريقة القرآن التنبيه بالأدنى على الأعلى .

وأما الحمية فقال تعالى في آية الوضوء: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ النساء: آية ٤٣ فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه، وهذا تنبيه على الحمية من كل مؤذ له من داخل أو خارج(٧٨).

وقد عقب ابن القيم على كلامه هذا بقوله: " فقد أرشد سبحانه عباده إلى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده" [٧٩].

وقد أكد ابن حجر ما ذكره ابن القيم فقال: " والطب نوعان طب جسد وهو المراد هنا، وطب قلب، ومعالجته خاصة بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه سبحانه وتعالى.

وأما طب الجسد فمنه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره، وغالبه راجع إلى التجربة، ثم هو نوعان: نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر، بل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش، ونوع يحتاج إلى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو إما إلى حرارة أو برودة وكل منهما إما إلى رطوبة أو يبوسة أو إلى ما يتركب منهما، وغالب ما يقاوم الواحد منهما بضده، والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو أعسرهما، والطريق إلى معرفته بتحقق السبب والعلامة، فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه أو عكسه، وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته أو عكسه.

ومدار ذلك على ثلاثة أشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي، واستفراغ المادة الفاسدة، وقد أشير إلى الثلاثة في القرآن الكريم "[٨٠].

وأما وقايته الفرد والمجتمع من الأمراض من خلال تشريعات كثيرة فيتجلى في النصوص الآمرة بالطهارة والنظافة، وفيما شرعه لنا تناول الطيبات من الأطعمة والأشربة، ونهانا عن تناول الخبيث منهما، ونهانا عن الإسراف في تناول الطعام والشراب، وحرم علينا الأكل من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، كما نهانا عن الخمر، والمخدرات، وشرع لنا الزواج، ونهى عن الزنا واللواط.

ومن تتبع ما جاء به القرآن مما يقيم صحة الإنسان، ويحفظ بدنه، ويدفع عنه الأسقام؛ فإنه يجد منهجاً كاملاً يحفظ الله به الإنسان من كثير من الأسقام، وقد استقرأ علماء الشريعة التشريعات التي جاء بها الكتاب والسنة؛ فوجدوا أن الشريعة وُضِعَت لجلب المصالح للعباد، ودفع المفاسد عنهم، ووجدوا أن تشريعات هذا الدين تتجه كلها إلى أن تحفظ على الناس دينهم وأنفسهم وعقولهم وأنسابهم وأموالهم .

ومن هنا قال ابن القيم: " فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه فهما في كتابه" [٨١].

الخاتمة

أهم نتائج هذه الدراسة:

أولا: العلماء متفقون على كون القرآن الكريم شفاء، لكنهم مختلفون في مدلول هذه الحقيقة، فبعضهم يرى أنه شفاء لأمراض القلوب والأرواح فحسب، وبعضهم يرى أنه شفاء لأمراض الأبدان أيضا.

ثانيا: الرأي الذي نختاره أن جميع سور القرآن الكريم وآياته في ذاتها شفاء لكل أمراض النفس التي يمكن أن تؤدي إلى بعض الأمراض العضوية، وبالتالي يترتب على شفائه لهذه شفاؤه لتلك، ويمكن مزاولة العلاج به لهذه الأمراض، كما أن بعض سوره وآياته شفاء لبعض الأمراض العضوية ويمكن مزاولة الرقية بها بخصوصها؛ لأن التبرك بقراءتها يدفع كثيرا من الأمراض كما قال الفخر الرازي.

ثالثا: مثلث العلاج بالقرآن الكريم هو: **موافقة الدواء للداء، وبذل الطبيب له، وقبول طبيعة العليل**، فمتى تخلف واحد منها لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل الشفاء ولابد بإذن الله سبحانه وتعالى، ومن عرف هذا كما ينبغي؛ تبين له أسرار الرقى، وميز بين النافع منها وغيره، ورقى الداء بما يناسبه من الرقى، وتبين له أن الرقية براقيها وقبول المحل، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع.

رابعا: غياب ضلع أو أكثر من هذا المثلث لا ينفي تحقيق تأثير للقرآن بمقادير مختلفة، وهذا ما أكدته الدراسة العلمية التطبيقية حول تأثير القرآن على وظائف أعضاء الجسم البشري وقياسه بواسطة أجهزة المراقبة الإلكترونية.

خامسا: العلاج بالقرآن حقيقة لا ينبغي أن نقصرها على الرقية به فقط، لأنها أوسع من ذلك بكثير بدليل ما تضمنه القرآن من قواعد وتشريعات لعلاج الأبدان، ووقايته الفرد والمجتمع من الأمراض، وإذا كان الإسلام قد شرع لنا الأدوية الروحية، مثل الاستعاذة بالله والرقى والدعاء، ولكن بجوار الأسباب المادية التي تكملها وتقويها الأسباب الروحية.

سادسا: أن شفاء القرآن مقصور على المؤمنين سواء كان شفاء قلبيا أو بدنيا وسواء أكان علاجا حسيا أو نفسيا.

سابعا: أنه بقدر بعد الإنسان عن هدايات القرآن بقدر بعده عن مظان العلاج ويزيده هذا البعد سقما وضلالا، (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) الإسراء: (٨٢))

أهم المصادر والمراجع

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، دار الجيل، بيروت - ١٩٧٣، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
- البرهان في علوم القرآن: المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
- تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النشر: دار النفائس. بيروت ٢٠٠٥، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤

- الجزء الأول، حققه وخرج أحاديثه، حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، دمشق - ص. ب ٤٩٧١ - بيروت - ص. ب ٦٤٣٣/ ١١٣
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت ١٤٠٧ - ١٩٨٦ الطبعة الرابعة عشر، تحقيق شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.
- عجائب قراءة القرآن على الأوربيين والأمريكيين للدكتور نجيب الرفاعي، طبعة خاصة بالمؤلف ٢٠٠٦ الكويت.
- العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م".
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
- الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تأليف: للقرافي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، تحقيق خليل المنصور.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- فهم القرآن ومعانيه، المؤلف: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: حسين القوتلي، الناشر: دار الكندي، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨

- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
- مجلة الإعجاز العلمي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد التاسع.، مقال الدكتور محمد يوسف عبده بعنوان المعجزة الصوتية للقرآن الكريم.
- مجلة الإعجاز العلمي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد السابع. والتاسع
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣، الطبعة الثانية، تحقيق محمد حامد الفقي.
- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي السورة طهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
- مسند ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن: لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ
- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية

- مفاتيح الغيب: التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١١٣٩٢
- موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
- نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى،١٤١٥ هـ

الحواشي:

---

[١]- انظر: فهم القرآن للحارث المحاسبي ١ / ٢٦٩ – ٢٧٠.

[٢]- أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٧١١ (١٩٣٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري وقد روي بلفظ آخر.

[٣]- أخرجه أبو داود في كتاب الآداب، باب ما يقول إذا أصبح ٤/ ٣١٨ (٥٠٧٤) وأحمد في المسند ٢/ ٢٥.

[٤]- انظر: العين، وتاج العروس ولسان العرب والمفردات للراغب مادة ش ف ي.

[٥]- انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة ش ف ي.

[٦]- العين ٢٢٩/١ (ع ل ج) اللسان (ع ل ج)

[٧]- المفردات للراغب ص ٢٦٤ (ش ف ي)

[٨]- انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١١/، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢١/ ٢٩، وروح المعاني للألوسي ١١/ ١٣٩، ١٧٦.

[٩]- التحرير والتنوير (٢٠٢/١١)

[١٠]- انظر: تفسير الواحدي ١ / ٥٠٢، وتفسير البغوي ٢ / ٣٥٨، ٣، ١٣٣، وتفسير النسفي ٤ / ٩٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٤٢٢، ٣ / ٦٠، وتفسير أبي السعود ٤ / ١٥٥.

[١١] - انظر: روح المعاني للألوسي ١١/ ١٤٠.

[١٢]- انظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢٨/ ٢١١، وتفسير السعدي ١/ ٣٤٣.

[١٣] -زاد المعاد لابن القيم ٤ / ٧ – ٨، وكلام ابن القيم هنا لم يتضمن أي نفي لكون القرآن شفاء لأمراض الأبدان أيضا، وسيرد فيما يأتي من صفحات هذا البحث أنه ممن يرون ذلك.

[١٤] - انظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢١/ ٣٢.

[١٥]- انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ١٢٧.

[١٦] انظر: روح المعاني للألوسي ١٧ / ٢١٢.

١٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢ / ٧٧. وعينا القلب اللذان قال بهما مجاهد إنما هما على سبيل المجاز لا الحقيقة، فالمسلم عندما يتصل بخالقه قد تُرفع عنه بعض الحجب فيرى مالا يراه غيره.

[١٨]- أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث ٥/ ٢١٥٢ (٥٣٥٧)

[١٩] -انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٩٢-١٩٣، ١٩٧.

[٢٠] - صحيح البخاري (٧/ ١٢٢)

[٢١]- أخرجه أبو داود في كتاب الطب باب في الأدوية المكروهة ٤/ ٧ (٣٨٧٤)

[٢٢]- أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لكل داء دواء ٤/ ١٧٢٩ (٢٢٠٤)

٢٣ - شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٩١.

٢٤ في ظلال القرآن لسيد قطب ٤/ ٢٢٤٨.

٢٥ انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٨٧، وزاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٢، وتفسير البيضاوي ٣/ ٤٦٣، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢١/ ٢٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣١٨، وروح المعاني للألوسي ١٤٥/١٥، وتفسير السعدي ١ / ٣٦٧.

[٢٦]- فتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٥٣.

[٢٧]- مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢١/ ٢٩.

[٢٨] - زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٢.

[٢٩]- انظر: شعب الإيمان للبيهقي ١٧١/٤ برقم ٢٣٤٣، الدر المنثور للسيوطي ٤/ ٣٦٦.

[٣٠]- انظر: تفسير البيضاوي ٣/ ٤٦٣.

[٣١]- انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣١٦.

[٣٢]- انظر: المصدر السابق ١٠/ ٣١٨.

٣٣- روح المعاني للألوسي ج١٥/ص١٤٥

[٣٤]- النشرة بالضم: ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال. وقال الحسن: النشرة من السحر وقد نشرت عنه تنشيرا. النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات بن الجزري ٥/٥٣.

[٣٥]- سنن أبي داوود ك الطب باب في النشرة، ٦/٤ برقم ٣٨٦٨ وقال الألباني صحيح.

٣٦ انظر: روح المعاني للألوسي ١٤٥/١٥-١٤٦.

٣٧ انظر: تفسير السعدي ١ / ٣٦٧.

[٣٨] زاد المعاد لابن القيم ٤ / ١٢.

-٣٩ أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٢٨، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٨وقال الحديث محفوظ صحيح ولم يخرجاه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١١٥ وقال: فيه أبو جناب وهو ضعيف لكثرة تدليسه، وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح

[٤٠] - والرقية كما يقول ابن الأثير: "العوذة التي يُرْقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات" النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٢/ ٢٥٤.

ويقول القرافي في تعريفها. "الرقى ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأدواء والأسباب المهلكة، ولا يقال لفظ رقى على ما يحدث ضرراً، بل ذلك يقال له السحر، وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين ومنها ما هو غير مشروع كرقى الجاهلية والهند وغيرهما وربما كان كفرا ولذلك نهى مالك وغيره عن الرقى بالعجمية لاحتمال أن يكون فيه محرم " الفروق للقرافي ٤ / ٢٨٨.

-[٤١] أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب ٥/ ٢١٦٦(٥٤٠٤).

وقد اختلف العلماء في جواز أخذ الأجر على العلاج بالقرآن: فمنعه بعضهم لأنه قربة والقارئ إذا قرأ لأجل المال فلا ثواب له، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم "اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به" قال الوزير جعفر بن يحيى البرمكي: " ما رأيت في القراء مثل عيسى بن يونس وذكر أنه عرض عليه مائة ألف درهم، فردها وقال: والله لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة ثمنا ". تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢٨٠.

لكن جمهور العلماء على جواز أخذ الأجر على العلاج بالقرآن طالما تحقق الشفاء، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال " أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله " لكنه في حديث الرقية، وكان الجعل على عافية مريض القوم لا على التلاوة ". مجموع الفتاوي ١٨/ ١٢٧.

وقال أيضا: " وأذن لهم في أخذ الجعل على شفاء اللديغ بالرقية ". مجموع الفتاوي ١٩/ ٥٩.

وقال ابن القيم: " والجعل كان على الشفاء لا على القراءة ". إعلام الموقعين ٢/ ٥.

وقال ابن عبد البر: " وفيه إباحة النشرة وإباحة عملها، وقد قال الزهري في ذلك أن هذا من العلم، وإذا كانت مباحة فجائز أخذ البدل عليها وهذا إنما يكون إذا صح الانتفاع بها، فكل ما لا ينتفع به بيقين فأكل المال عليه باطل محرم ". التمهيد لابن عبد البر ٦/ ٢٤١.

وقال ابن حزم: " والإجارة جائزة على تعليم القرآن، وعلى الرقي، وعلى نسخ المصاحف، ونسخ كتب العلم؛ لأنه لم يأت في النهي عن ذلك نص بل قد جاءت الإباحة".

-[٤٢] انظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١٩٨. والرقية: العوذة، معروفة، والجمع رقى ٠ وتقول: استرقيته فرقاني رقية، فهو راق، وقد رقاه رقيا ورقيا ٠ ورجل رقاء: صاحب رقى٠ يقال: رقى الراقي رقية ورقيا إذا عوذ ونفث في عوذته، والرقية المشروعة: هي ما كان من الأدعية المشروعة أو الآيات القرآنية. انظر: لسان العرب، مادة ر ق ي.

-[٤٣] انظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١٩٨.

-[٤٤] زاد المعاد ٤/ ٣٤٧.

-[٤٥] انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٨٧.

-[٤٦] النفث شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل، لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٨٧. قال النووي:" والنفث نفخ لطيف بلا ريق، وقد أجمعوا على جوازه، واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم" شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٨٢.

[٤٧] - أخرجه البخاري في الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات ٥/ ٢١٦٥ (٥٤٠٣).

[٤٨] - فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١٩٧.

-[٤٩] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣١٨.

-[٥٠] انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣١٩.

٥١ - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٣٨٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣ وقال: رواه الطبراني في ترجمة أبي معبد الجهني في الكنى قال وقد قيل انه عبد الله بن عكيم قلت فان كان هو فقد ثبتت صحبته بقوله سمعت وفي اسناده محمد بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ وبقية رجاله

-٥٢ انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٢٠.

[٥٣] - انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٤.

-[٥٤] نيل الأوطار للشوكاني ٩/ ١٠٧ بتصرف.

-[٥٥] فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٢٣٣.

-٥٦ زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٨.

-٥٧ البرهان في علوم القرآن - الزركشي ج١/ص٤٣٤

٥٨- البرهان في علوم القرآن - الزركشي ج١/ص٤٣٥

[٥٩] - زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٨.

-[٦٠] مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢١/ ٢٩.

[٦١] - انظر: تفسير القرطبي ج١٠/ص٣١٨

-[٦٢] زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٢.

[٦٣] - روح المعاني - الألوسي ج١٥/ص١٤٥

٦٤- أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أشتكي صدري فقال عليه الصلاة والسلام: "اقرأ القرآن يقول الله تعالى: شفاء لما في الصدور " وأخرج البيهقي في الشعب عن وائلة بن الأسقع أن رجلا شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجع حلقه، فقال: " عليك بقراءة القرآن".

٦٥- روح المعاني - الألوسي ١٣٩/١١، ١٤٠ بتصرف.

٦٦ - ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ٢/ ٢٨٨.

[٦٧] - مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢١/ ٢٩.

[٦٨] - عجائب قراءة القرآن على الأوربيين والأمريكان للدكتور نجيب الرفاعي ص ٤٥ – ٤٦.

[٦٩] - المصدر السابق ص ٤٧.

[٧٠] - مدارج السالكين لابن القيم ١ / ٥٧.

٧١- تفسير البيضاوي ج١/ص٩٩

٧٢- مفتاح دار السعادة ١/ ٢٥٠.

[٧٣] - البرهان في علوم القرآن - الزركشي ج١/ص٤٣٧

[٧٤] - انظر: فتح الباري ١٠/ ١٩٧.

٧٥- تم إجراء هذه الدراسة في عيادات " أكبر " في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا.

[٧٦] - مجلة الإعجاز العلمي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد التاسع.، مقال الدكتور محمد يوسف عبده بعنوان المعجزة الصوتية للقرآن الكريم.

[٧٧] مجلة الإعجاز العلمي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد السابع، مقال الدكتور عبد الله أبو السعود بعنوان الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم.

[٧٨] - زاد المعاد لابن القيم:٤/ ٦ – ٧ بتصرف.

[٧٩] - زاد المعاد: ٤/ ٧.

[٨٠] - فتح الباري لابن حجر ١٠/ ١٣٤.

[٨١] زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٢.